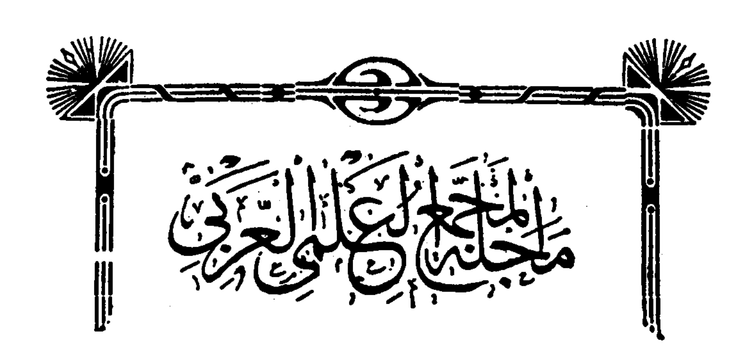


الجزء ٦ حزيران سنة ١٩٢١ م الموافق ١٨ رمضان سنة ١٣٣٩ هـ المجلد ١

الاوضاع العصرية

ما من كاتب حاول الكتابة في موضوع عصري ، أو تعريب مقالة من وضع أبناء الغرب ، الا وقام في وجهه من المثبطات مايقعده عن اتمام الشوط الذي اخذ به ، وذلك لانه اذا اخذ المعاجم الافرنجية العربية لينقر فيها عما يريده فانها لاتفيده فائدة تذكر اذ اغلبها يشرح الالفاظ بمعنى يقارب معنى اللفظ المنشود ولايؤديه حق التأدية . أو يشرحه بكلام طويل عريض يذهب بالفائدة المطلوبة من وضع الفاظ بازاء الفاظ تفي بمعناها وتكون حذو القذّة بالقذة .

واذا عمد الى الدواوين العربية وجدفيها من سعة المادة والبحث وسوء الترتيب وصعوبة الغوص على دُرّة المعنى ، مايخيل له انه في بحر غِطمّ لاتقتحم امواجه، ولا تركب أثباجه ، فيرجع عن موضوعه وهو اخيب من القابض على الماء .

وكنت ممن بلي بهذا المصاب الجلل ، فآليت ان اعمل في تمهيد شيء – ولو قليلا – من هذه العقبة أو العقبات ، نفعاً لابناء لغتي . ثم قلت في نفسي : ولابد أن هذا العمل يثير في خواطر بعض الادباء مايبعثهم الى تسنم هذا الغارب سعياً وراء تحقيق هذه الامنية المثلى ، فلا يمضي حينئذ ردح من الزمن الا وقد أصبحت لغتنا تجاري سائر اللغات العصرية في اوضاعها الحديثة المعنى ، قياماً بايفاء المعاني حقوقها من المباني اللازمة لها .

وقد توفقت لوضع زهاء الف لفظة بازاء مثلها من اللغة الفرنسية أو الانكليزية ،

الفيت جانباً منها في كتب الاقدمين مما يجهله المحدثون ، ومنها ماوجدته نبأ اذعثرت عليه في معاجمنا اللغوية الواسعة ، ومنها ماوضعته لماسّة في المعنى من جامع يجمع بين اللفظين أو رابط يربط الواحد بالآخر ، ومنها ماوضعته متبعاً فيه سنة الاشتقاق على ما فعله السلف الصالح ، ومنها ماسلكت به الجدد لاكون في مأمن من العثار.

ولما عددت ماتيسر لي جمعه ، وجدته يتعدى الالف ، وذلك في مدة تناهز الاربعين سنة ، الا ان جميع كتبي واوراقي الخطية والمطبوعة ، اغتالتها يد الضياع.

والآن أعيد بعض تلك الاوضاع حسبما تمليه عليّ الذاكرة الواهنة ، احتفاظاً بما بقي عالقاً بها غير متبع في ايرادها نظاماً سوى حضورها في الذهن .

وقبل أن اشرع بالموضوع أقول : اني لا أذكر هنا سوى اوضاعي ، ضارباً صفحاً عما اصطلح عليه بعض العصريين ، اذ الغاية تدوين ماهو مجهول ، ليطلع عليه الكتاب وليس التنويه بما هو معروف مذكور .

ثم ان بعضاً من هذه الالفاظ مانشرته سابقاً في الصحف والوضائع والمجلات ، وكان اكثره باسم مستعار ، فاذا نسبه بعضهم الى نفسه فهو سارق له لا غيره واذ قد مهدت ذلك اقول :

(١ الوراقة) عند الافرنج كلمة يراد بها علم الكتب من مطبوعة ومخطوطة من نادرة ومبتذلة مع معرفة مؤلفيها ومحل وجودها واصحابها ومقتنيها وما يتصل بها . وهي عندهم (bibliographie بيبليوغرافية) . وقد حار المعربون العصريون في وضع كلمة واحدة تؤدي معناها . واحسن لفظة تفي بالغرض هي (الوراقة) وذلك :

١ – لان الكلمة الافرنجية مؤلفة من حرفين يونانيين وهما : بيبليون اي كتاب او ورق ، وغرافن اي وصف ، ومحملها : وصف اومعرفة الكتب أو الورق.

٢ – الوراق عند العرب هو من يورق الكتب ويكتب وحرفته الوراقة (عن الجوهري والفيروزابادي وابن مكرم والسيد مرتضى) . وما من وراق عند العرب الا وله أو كان له اطلاع على كثير من المؤلفات ، فكانت معرفته لها من لوازم صناعته ولو عن غير قصد . واحسن شاهد لذلك ادعاماً لرأينا أبو الفرج محمد بن اسحق بن أبي يعقوب النديم المشهور بالوراق صاحب كتاب الفهرست . فانه كان

وراقاً بمعنيه القديم والحديث اللغوي والاصطلاحي . ولهذا اصبحت كلمة الوراقة بمعنى معرفة الكتب من مطبوعها ومخطوطها مما لا يتناقش فيه اثنان[١]

واذا اردنا ان لا يقع ابهام او ايهام في كلامنا ، اي بين وَرّاق وورّاق ، ابقينا معنى (الوراق) الاول بالمعنى القديم لفظاً . وخصصنا (الوراقي) بالمعنى المصطلح عليه عند المحدثين ، كما قالوا (صحافي) لمن يتعاطى الصحافة والصحافة تقع على من يتعاطى حرفة تصحيف الكتب وحرفة الكتابة في الجرائد والصحف الا انهم خصوا (الصحافي) بالمعنى الحديث خوفاً من اللبس .

---

(١) ان الذين اشتهروا بلقب الوراق كثيرون نذكر منهم من عثرنا على اسمه : امنع ابن يزيد الوراق الجهني من اهل واسط مات سنة ١٥٩ هـ - وابو جعفر احمد بن محمد بن ايوب الوراق من اهل بغداد وكان يورق للفضل بن يحيى بن برمك . مات في بغداد في ذي الحجة سنة ٢٢٨ هـ - وابو اسحق ابراهيم بن مكتوم السلمي الوراق ، وراق المصاحف ، كان يسكن بسرمن رأى (سامراء) - وابو القاسم عبد الله بن الحسن بن مالوته بن بحر ابن عبد الله بن ابراهيم بن الفرخان الوراق الصوفي توفي سلخ جمادى الاولى ٣٧٣ هـ - وابو بكر محمد بن عمر بن علي بن خلف بن محمد بن زنبور بن عمرو بن تميم الوراق من اهل بغداد وكان فيه تساهل وضعف في الرواية توفي في صفر سنة ٣٩٦هـ - وابو محمد عبد الله بن الفضل بن جعفر الوراق والعاقولي وهو وراق عبد الكريم بن الهيثم وكان من اهل دير العاقول ، نزل بغداد وحدث بها وتوفي في سنة ٣٢٨هـ وابو القاسم عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن ابي حية الوراق وكان وراق الجاحظ من اهل بغداد ، مات في شعبان سنة ٣١٩هـ - وابو القاسم عيسى بن سليمان بن عبد الملك القرشي الوراق وراق داود بن رشيد ، مات في شعبان سنة ٣١٠ هـ - وابو حفص عمر بن جعفر بن عبد الله ابن ابي السري الوراق البصري الحافظ من اهل البصرة ورد بغداد وسكنها وكانت ولادته سنة ٢٨٠ ، مات في جمادى الاولى سنة ٣٥٧ - ومحمود الوراق هو محمود بن حسن وكان شاعراً اكثر القول في الزهد والادب والحكم - والفضل بن احمد الرازي الوراق وراق ابي زرعة الرازي - (ملخص عن كتاب الانساب للسمعاني) وغيرهم ممن ذكرهم ابن خلكان ومن ترجم مشاهير الرجال .

على اني ارى ان كلمتي (صحافي ووراقي) مخالفتان لمصطلح فصحاء العرب .
وذلك انهم نسبوا رجلا الى مهنة ، لفظها ثلاثي الاصل لم ينسبوه الى حرفته نفسها، بل اشتقوا له من اصول لفظه اسم فاعل اوامم مبالغة، فاذا نسبوا رجلا الى التجارة والنجارة، الى الصناعة والزراعة ، الى الحدادة والخياطة ، الى الحياكة والخراطة . قالوا : تاجراً ونجاراً ، صانعاً وزارعاً او زراعاً، حداداً وخياطاً ، حائكا اوحياكا وخراطاً ، ولم يقولوا : تجارياً ونجارياً ، صناعياً وزراعياً .. فهذه منسوبات الى الحرفة والمهنة ، وتلك الى صاحبها او محترفها كما هو المقصود من وضعها .

ولهذا اخطأ المحدثون بقولهم (صحافي) لمن يتعاطى الصحافة فكان يجب عليهم ان يقولوا (صحاف) لكنهم ارادوا الفرار من الابهام فوقعوا في هوة الوهم، هوة عزلتهم عن اندية العلماء ، فاضطروا الى مخالفة اوضاعهم فاخطأوا، ولذلك اصبح من يرجع الى تقليد لغويينا الكبار ويقول (صحافاً) هو المصيب ومن خالفهم هو المخطىء ، وعليه نقول (وراقياً) جرياً على الوضع الحديث المخطوء، و (وراقاً) جرياً على القواعد المرعية وانت تريد bibliographe (بيليوغراف)

(٢) تجد في لغتنا بعض الاوضاع لا تجد مقابلا لها في كتب الفن من كتب الاجانب وتكاد لا تجدها الا في بعضها. من ذلك كلمة المخشلب او المشخلب بتقديم الخاء على الشين وبالعكس والميم مفتوحة في كليها وساكنة الثاني ، مفتوحة الثالث والرابع . والكلمة معروفة عند قدماء العراقيين وتكاد تنسى ومعناها هو ما ذكره اللغويون: وهو[1] الشخلبة (بهاء ايضاً) وهي خرز أبيض تشاكل اللؤلؤ تخرج من البحر وهي اقل قيمة منه والكلمة ليست بعربية بل عراقية من اصل نبطي وتطلق على كل مايشبه الدر من حجارة البحر وليس بدُرّ والعرب تقول الخضض . وقد تسمى الجارية مشخلبة بما عليها من الخرز كالحلي ومنه حديث العراقيين المشهور : يامشخلبة ، ما هذه الجلبة ، تزوج حرملة ، بعجوز أرملة (عن اللسان والتكملة والقاموس والتاج وشفاء الغليل) واللفظة التي يستعملها الفصحاء من العرب بدلا من المخشلب هي الخضض وزن سبب ، قاله الواحدي في شرح ديوان المتنبي .

(١) قال في محيط المحيط في مادة خشلب: المخشلب: المشخلب بتقديم الشين او تصحيفه. وهو قطع الزجاج المتكسر وقيل الخزف اه .والصحيح ما اوردناه نقلا عن المحققين .

وهو في الفرنسية Kératophyte او Kératophyllon وقد قالوا في تعريفه : شيء من المريج Zoophyte ينبت على هيئة شبكة او عوسجة ويكون شفافاً لماعاً كاللؤلؤ مختلف الالوان يخرط خرزاً ويثقب فتلبسه الاماء لقلة ثمنه ويؤتى به الى العراق من البحرين في خليج فارس او من بحر الهند . واني ما كنت اهتدي اليه لو لم اره بعيني ويذكر لي اسمه بعضهم . وهذه الكلمة لا تجدها في المعاجم العربية الفرنجية ولا في التي هي على خلاف ذلك ، فانك لا تجد في المعاجم تصريحاً بحقيقة تلك المادة الا من طرف خفي .

(٣ً الخضض) بمعنى Menu d'une table وردت في كلامهم في شرحهم لها في دواوينهم « الوان الطعام » وهي لفظة تناظر اللفظة الفرنجية المناظرة .

(٤ً) ومن غريب ما له مقابل في العربية كلمة Recorriger الفرنسية بعد ان تعرف معنى Corriger فالمعنى في الاول دقيق وان كان الثاني مرادفات كثيرة في لغتنا . فالاولى يقابلها التهذيب في المعنى المجازي والثانية التشذيب . قال ابو حنيفة : التهذيب في القدح : العمل الثاني والتشذيب الاول ا ه . ومنه هذّب الشيء اصلحه . سواء كان هذا الشيء من الامور المادية او الامور العقلية . فانظر حرسك الله كيف ان العربية ادت هذا المعنى الدقيق الموجود في اللغات العجمية وهو مما لم ينتبه له اصحاب المعاجم الفرنجية العربية او بالعكس . وهذا واجب علينا معرفته للمحافظة على التدقيق في النقل والامانة في تأدية المعنى والمحافظة ايضاً على لفظ واحد وهو من الامور التي يجب ان يحرص عليها اللغوي والكاتب والخطيب .

(٥ً) لا تقل لي حرسك الله ان في الفرنسية من المعاني العصرية المنتزعة من امور المعيشة والالفة ما لا يمكن ان يكون له مرادف في العربية ، كقولهم مثلاً:

lancer un ballon d'essai وهم يريدون بذلك : نشر خبر او بث خاطر بين الناس ليستدل به على ما ينشأ منه سبراً للغور او وقوفاً على الحقيقة بدون ان يخاطر بشيء يذكر .

قلنا هذا يوافقه عند العرب: رمي الدريئة من باب المجاز ، لان الدريئة الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها . وهذا المعنى المجازي ينطبق على المعنى الفرنسي المجازي

انطباق الجفن على الجفن . ولك تعبير آخر في لغتنا وهو سبر الغور .

(٦) واذا اعترضت وقلت : وكيف تنقل الى لغتنا قولهم être le boue émissaire d'une société ؟ أجبتك : «كان دريئة القوم» فقد علمت معنى الدريئة . فلا حاجة الى الاعادة ومن هذا قول عمرو بن معدي كرب :

ظللت كأني للرماح دريئة　　　اقاتل عن ابناء جرم وفرت

(٧) المويج يقابله عند الافرنج Zoophyte اي الحيوان النبـــاتي . قال اللغويون : «المرجان[1] مشتق من المرج بمعنى الخلط لانـه بين الحجر والشجر» فيكون المويج الخليط الخلقي بين الحجر والشجر او الحيوان والنبات وهوالزووفيت وهو احسن من كل لفظ وضعه المحدثون اذ لم يجدوا كلمة واحدة تقابل الفرنجية

(٨) من بلايا معربي هذا العصر انهم اذا وصفوا رجلاً بقوة الصوت وجهورته قالوا : صوتـه كصوت اسطانطور Stentor واذا رحموا القراء وكفوهم مؤونة البحث والتنقير شرحوا لهم من هو هـذا الغريب فقالوا : هو محارب يوناني احـد ابطال موقعة ترَوادة كان له صوت جهوري هائل . وقد قال عنه هوميرس : ان صوته كان يوازي اصوات خمسين رجلاً يصرخون صرخة واحدة .

قلنا : وفي مثل هذا الامر لا حاجة لنا الى ان نعرف رجال امة ونجهل من هم من قومنا ، بل علينا ان نعرف اولاً من كان قد اشتهر بمثل هذا الامر عندنا ثم ننظر الى من يماثلهم عند الاقوام الاخرى. والحال ان من نبه ذكره عندنا في هذا الصدد هو الصعقب الذي اختلف في حقيقة سمه فقيل هو صعقب بن عمرو، او شقة ابن ضمرة ، او ضمرة التميمي ، وقيل جشم بن عمرو النهدي . وكان صغير الجثـة عظيم الهيئة زعموا انه صاح في بطن امه (لاحظ هذا ولا تنسه) ، وانه صاح بقوم فهلكوا عن آخرهم (ومن الغريب ان من حوله لم يمت ولم يصب بادنى ضرر) ومنه

(١) المرجان ليست بعربية ، بل هي معربة اليونانية Margarîtês Papyapitns ومعناها اللؤلؤة ، الا ان العرب لما ظنوا انها عربية وعللوا سبب تسميتها على مـا اوردناه اعترفوا بعملهم هذا بصحة معنى المرج بالوجه الذي ذكرناه .

المثل : « أقتل من صيحة الصعقب [1] » (راجع تاج العروس في مادة ع د د) . فهذا رجل صوته اشدمن صوت اسطانطور Stentor المذكور عند ابناء الغرب. ومن الغريب ان صاحب التاج لم يذكر الصعقب [2] في موطنه .

وللعرب رجل آخر يعرف بعظم صوته وجهورته وهو ابو عروة ، وقد قال عنه صاحب التاج : ابو عروة رجل زعموا كان يصيح بالاسد، وفي المحكم بالسبع، وفي الاساس بالذئب ، فيموت فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زل عن موضعه ،نقله ابن سيده والزمخشري . انتهى المقصود من ايراده . وهذا وان كان دون الصعقب قوة في صوته، الا انه شد فعلاً من صوت اسطانطور ، فاين بقي هذا بالنسبة الى العربيين المذكورين ؟

(٩ ً الغلص) ومن غريب ما وجدته عند العرب انهم كانوا يعرفون قطع الغلصمة ويسمونه الغلص Ablation de la luette .

(١٠ ً العلهصة) واغرب من ذلك معرفتهم للعلهصة وهو استخراج العين من الرأس وهو امر يستوجب في مستخرجها معرفة تامة للتشريح ولا اعرف للافرنج كلمة واحدة بل اظنهم يقولون Extraction de l' oeil .

(١١ ً الحج Trépanation) وهناك لفظ آخر يدل على مهارتهم في التشريح

(١) لم اجد هذا المثل في مجمع الامثال للميداني ولا في فرائد اللآل في مجمع الامثال مع اني وجدت شقة بن ضمرة بن جابر من بني نهشل في (١ : ١٠٨) من الكتاب الاول المطبوع لاول مرة في بولاق . وفي (١ : ١١٣)من الكتاب الثاني المطبوع في بيروت ولم يصرح كلاهما باللقب المعروف به وهو الصعقب .

(٢) لم اجد بين اعلام العرب من عرف بهذا اللقب او هذا الاسم والذي عثرت عليه في مطاوي مباحثي هو الصقعب بتقديم القاف على العين . ولا يبعد ان تكون اللغتان مقبولتين وان الاصل هو الصعقب من الصعق كأن صوته يصعق الناس صعقاً ، ثم وقع القلب في اللفظة كما وقع في كثير من مثلها فقد قالوا : صاعقة وصاقعة (راجع المزهر طبعة بولاق الاولى ١ : ٢٣٠)وجارية بقعة وقبعة وهي التي تظهر وجهها ثم تخفيه(فيه) وماء عق وعقاق وقع وقعاع اي شديد المرارة (فيه ص ٢٣١) فيؤخذ من هذه الامثال وغيرها ان القلب كثيراًمايقع في اللفظة التي يجتمع فيها العين و القاف اذا كانتا متجاورتين.

هو الحج بمعنى ثقب العظم ولا سيا جمجمة الرأس لاصلاح ما يكون قد وقع من خلل في ما يريد ثقبه . والآلة تعرف عند العرب بالمحجاج وعند الافرنج Trépan والفعل Trépaner والعمل Trépanation قال في تاج العروس : حجه يحجه حجاً فهو محجوج وحجيج: اذا قدح بالحديد في العظم اذا كان قد هشم حتى يتلطخ الدماغ بالدم فيقلع الجلدة التي جفت ثم يعالج ذلك فيلتئم بجلد ويكون آمة". انتهى المقصود من ايراده وفيه تفاصيل عن مداواة طبيب ماهر لشجة بعيدة القعر .وقد قـال المحجاج ، المسبار قلنا : ولا جرم انه يريد بسبار الحج وهو غير المسبار المستعمل في سائر الجروح .

(١٢" الجنب Hinterland) ومما لم يكن يخطر على بال كاتب ان يرى له مقابلاً في لغة العرب هو المعروف عند الافرنج في يومنا هـذا باسم Hinterland ويراد به البلاد الواقعة وراء مستعمرة . والجنب عند العرب (وزان منبر) هو اقصى ارض العجم الى ارض العرب وادنى ارض العرب الى ارض العجم (التاج) فهذا يقارب ذاك ويكاد يؤدي نفس [1] المعنى المطلوب .

هـذه امثلة مما قد جمعناه من الالفاظ الحديثة والاوضاع العصرية مما يتم على ان لسان العرب حي" وان فيه من وسـائل تأدية المصطلحـات العصرية ما لا يرى مثيله في لغة اخرى . ولدينا من هذه الكلم اكثر من الف ، مختلفة الموضوع ولا بد من اننا نبسط منها شيئاً للقراء ليقفوا على ما للغة قريش من الغضاضة والرخوصة واللدونة ومر" الزمان يظهرها للعيان .

الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) انكر بعضهم مثل هذا التركيب في العربية ، لانه لم يرد في كتب النحو ولا في دواوين اللغة . وقد ابتلانا الله في هذا العصر بقوم يخطئون الغير لكونهم لا يرون الكلمة او التركيب في الكتب التي تتداولها الايدي . وقـد نسوا ان النحاة واللغويين لم يدونوا كل ما ورد في لسانهم ، بل قيدوا قلاً من جل كما صرح به الائمة فقـد ورد في النهاية لابن الاثير ولسان العرب في مادة (ث ر ه) : « بل اللذة والقوة اذا كان اللحم نضيجاً في المرق اكثر ما يكون في نفس اللحم » . وفي الصبان في نحو آخر باب التوكيد (٣:٧١) ويرد عليه نحو جاء في نفس زيد وعين عمرو اي ذاتها . اه